

تقرير

شوقي عشقوتي

lionbars@hotmail.com

عندما التقى الرئيسان الاميركي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين في العاصمة الفنلندية هلسنكي، لم يبد الاوّل اهتماما كبيرا بالتوسع في ملفات ساخنة مثل اوكرانيا، فيما غاب ملف التسوية الفلسطينية - الاسرائيلية نهائيا. لكنه ركز على امرين: مواصلة التنسيق العسكري والامني لضمان امن اسرائيل، وخطر السياسات الاقليمية لايران والتهديد الذي تشكله قدراتها النووية والصاروخية



في هلسنكي لم يعط الرئيس الروسي اي تعهد في شأن ايران في سوريا.

لم تعد مشكلة حرب سوريا... النظام ورئيسه

الجنوب أولى ثمار تفاهمات هلسنكي

في الملف الايراني لم يحصل توافق، ولم يعط الرئيس الروسي فلاديمير بوتين اي تعهد نهائي. في الملف الاسرائيلي حصل توافق ترجم سريعا على الارض السورية، وتحديدًا في الجنوب الذي يضم مثلث درعا - السويداء - القنيطرة، الذي تلقى اولي ثمار قمة هلسنكي وتفاهماتها.

انظار الشرق الاوسط اتجهت الى ما اسفرت عنه قمة هلسنكي بالنسبة الى سوريا، حيث الارضية المشتركة الاكثر وضوحا بين الطرفين الاميركي والروسي، وحيث لم تكن سوريا في اي مرحلة، خلال ادارتي الرئيسين دونالد ترامب وباراك اوباما، بين الخلافات الاستراتيجية مع روسيا، قبل تدخلها المباشر وبعده.

الفارق الوحيد بين الادارتين اكده اخيرا مستشار الامن القومي جون بولتون ان الخلاف الاستراتيجي ليس على الرئيس بشار الاسد بل على ايران. مع ادارة اوباما كان الضوء مصلتا على مصير الاسد لتغطية

التغاضي الاميركي عن التدخل الايراني في سوريا كواحد من الحوافز التي نالها طهران للتوقيع على الاتفاق النووي، وقد تعاملت ادارته ببراعة خاصة مع التدخل الروسي في سوريا باعتبار ان التدخل الاميركي لم يكن واردا في اي وقت.

اسفر ذلك عن تفاهمات استراتيجية ما لبثت ادارة ترامب ان تبنتها، ويمكن التعرف الى طبيعتها في التصفية المتدرجة للمعارضة المسلحة منذ خريف 2016 الى اليوم، بدءا بحلب، مرورًا بالغوطة الشرقية، وصولًا الى درعا. ذلك ان جوهر التفاهمات بني على ان المشكلة في سوريا ليست النظام الذي لم يعد يشكل خطرا على اسرائيل.

شكلت سوريا مركز التلاقي الاوضح بين الجانبين الاميركي والروسي اللذين اجتمعا عند نقاط عدة مهمة:

- الاتفاق على توفير امن اسرائيل (في اشارة الى الاخذ في الاعتبار مخاوف اسرائيل في شأن الوجود العسكري الايراني قرب حدودها).

- التنسيق العسكري بين الجيشين الاميركي والروسي (في اشارة الى خط التنسيق الذي تستخدمه القوات الاميركية والروسية لتجنب وقوع مواجهة غير مقصودة على ارض سوريا او في اجوائها).

- العودة الى التطبيق الكامل لاتفاق فصل القوات السورية والاسرائيلية في الجولان (في تأكيد لعودة الوضع في الجولان الى ما كان عليه قبل الحرب السورية، وعدم انطلاق اي نشاطات او عمليات ضد اسرائيل عبر الحدود السورية في الجولان).



وجود الجيش السوري مرتبط بالتزامه باتفاق الفصل لعام 1974 في الجولان.

اهمية استراتيجية لهضبة الجولان

تكتسب هضبة الجولان السورية التي تحتلها اسرائيل اهمية استراتيجية بالنسبة الى الجانبين، خصوصا لثروتها الكبيرة من المياه العذبة. تطل الهضبة على الجليل وعلى بحيرة طبرية في الجانب الاسرائيلي، كما تتحكم بالطريق المؤدية الى دمشق في الجانب السوري.

احتل الجيش الاسرائيلي الجولان السوري في 9 حزيران 1967، ثم جيبا اضافيا في الهضبة مساحته نحو 510 كلم خلال حرب تشرين الاول 1973، اعادته في عام 1974 مع جزء صغير من الاراضي التي احتلتها في 1967.

بموجب اتفاق "فض الاشتباك" عام 1974 اقيمت منطقة عازلة منزوعة السلاح يحوط بها من كل جانب قطاع حددت كمية الاسلحة فيه. منذ ذلك الحين تشرف قوة من الامم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك على احترام الاتفاق.

عام 1981 اعلنت اسرائيل ضم القسم المحتل من الهضبة (نحو 1200 كلم) ويحد لبنان والاردن، لكن المجتمع الدولي لم يعترف مطلقا بهذا الضم.

خلال حربي 1967 و1973 اضطر نحو 150 الف شخص، اي غالبية السكان السوريين في الهضبة الى مغادرة اراضيهم. يبقى اليوم حوالي 18 الف سوري من الدروز تحت الاحتلال يرفضون جميعهم تقريبا الحصول على الجنسية الاسرائيلية.

منذ عام 1967 استقر في الهضبة نحو 20 الف مستوطن موزعين اليوم على 33 مستوطنة غالبيتها زراعية. ووفق السلطات الاسرائيلية في الجولان فان 21% من انتاج اسرائيل من الكرمة يأتي من هذه المنطقة، وكذلك 50% من انتاج المياه المعدنية و40% من لحوم البقر.

تعثرت المفاوضات الاسرائيلية - السورية التي انطلقت في التسعينات بسبب مسألة هضبة الجولان التي تطالب سوريا باستعادتها كاملة حتى ضفاف بحيرة طبرية، الخزان الرئيسي لاسرائيل من المياه العذبة.

اسرائيل باستمرار الاسد في حكم سوريا.

- خصوم ايران يرون انه في سوريا باتت هناك فجوة بينها وبين روسيا رغم محاولات الطرفين تأكيد العلاقة واستمرارها. الشراكة في الحرب من اجل هدف واحد هو دعم نظام الاسد والقضاء على الارهاب، ستحل محلها مع انطلاق العملية السياسية منافسة وشكوك متبادلة:

تعهدات بضمان امنها وتركها تفعل ما تريده لتأمين ذلك.

- الدائرون في فلك ايران يرون ان الصفقة التي عقدها بوتين مع ترامب، اذا كان يصح الكلام عن صفقة، ليست على حساب ايران والتضحية بمصالحها ووجودها في سوريا. بوتين التزم امن اسرائيل ومساعدتها، ولكنه لم يقدم اي تعهد في شأن المطلب الاساسي لاسرائيل واميركا وهو اخراج الايرانيين من سوريا. لا مصلحة له في مواجهة ايران، ولا يريد ذلك، لان ثمة مصالح متشعبة تربط البلدين في المنطقة والعالم على المستويات العسكرية والاقتصادية والمالية، ولأن روسيا وايران تحتاجان الى بعضهما البعض في سوريا والمنطقة.

واذا كانت اسرائيل اظهرت ارتياحا اوليا الى التفاهمات الاميركية - الروسية والتطورات الميدانية الموازية لها في جنوب سوريا، فان هذا الارتياح ظل مشوبا بالحذر بسبب حالة عدم اليقين في شأن الموقف الروسي وعدم الثقة ببوتين وسياسته الانتهازية، وعدم استعداد او عدم قدرته على ممارسة ضغوط على ايران لاجراجها من سوريا. يركز معسكر الحذر والتحفظ في اسرائيل عن النقاط التالية:

- لا نتيجة فعلية تصب في المصلحة الاسرائيلية ما لم تكن قائمة على واقع اخراج الايرانيين من سوريا. هذه هي النتيجة التي تهم الاسرائيليين ولم تتحقق.

- عودة العمل باتفاق فصل القوات في الجولان لعام 1974 امر مهم لكنه هدف ثانوي. الاهداف الاساسي هو ابعاد ايران والمليشيات الشيعية عن الحدود. من غير المؤكد ان روسيا - وحتى اميركا - ستستجيب طلبات اسرائيل مثلما تعهدت كل منهما.

- نفوذ بوتين على ايران في سوريا محدود، وكذلك ارادته وقدرته على ابعادها عن كل الاراضي السورية. فهو لا يزال مصرا على انه لا يمكنه فرض ارادته على الاسد ودفعه الى اخراج الايرانيين من سوريا، ومن المشكوك فيه ان يتحقق طلب رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو ابعاد إيران وحزب الله من كل سوريا.